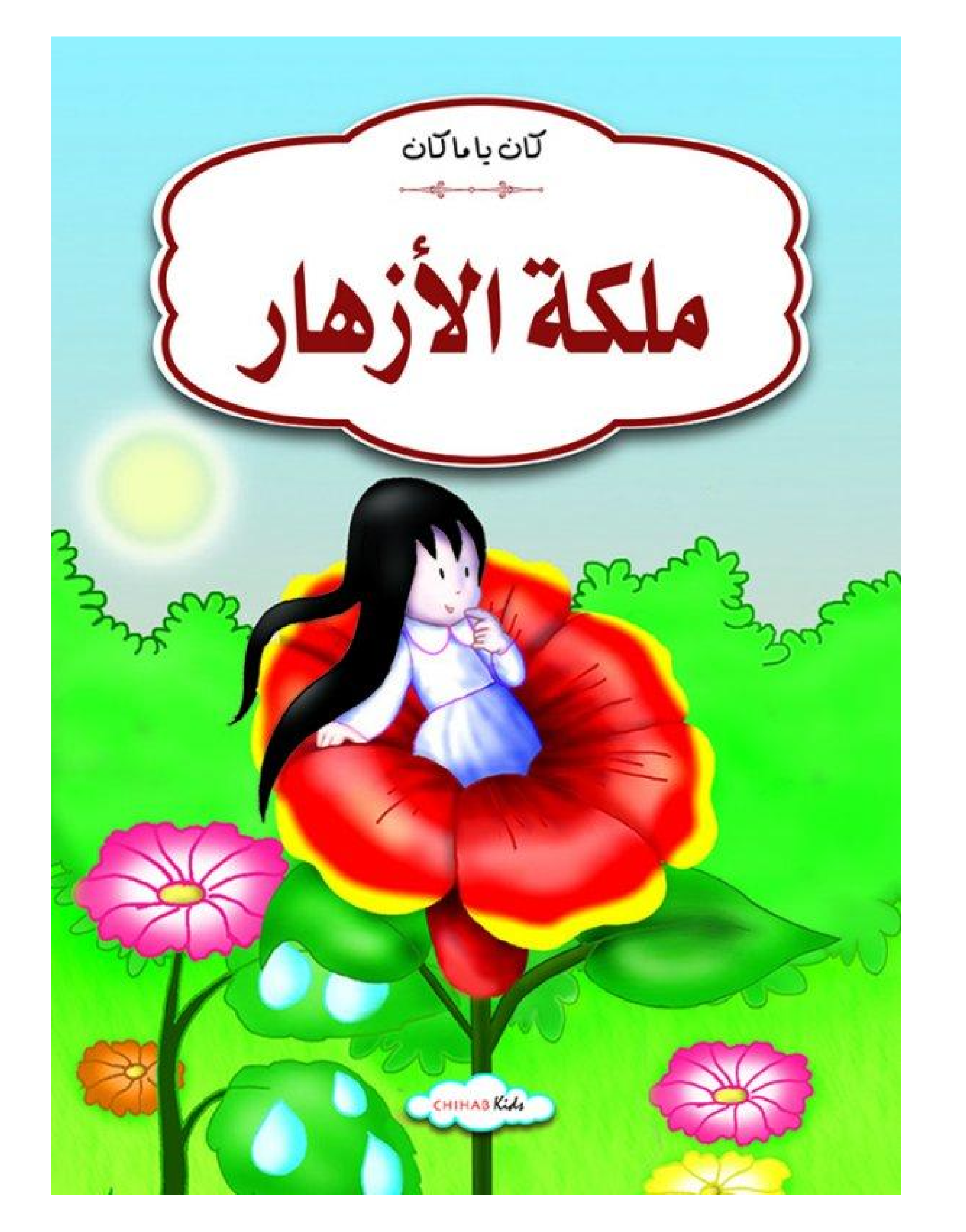

كان يا ما كان
ملكة الأزهار
CHIHAB Kids

كان يا ما كان...

مَـلِـكَـةُ الأَزْهَـارِ



مقتبسة عن حكايات هانس كريستيان أندرسن

رسوم : منصور عموري





كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمانِ، وَ سَالِفِ الْعَصْرِ وَ الْأَوَانِ امْرَأَةٌ أَرَادَتْ أَنْ يَكُونَ لَها طِفْلٌ صَغِيرٌ، لَكِنَّهَا لاَ تَدْرِي كَيْفَ تَتَحَصَّلُ عَلَيْهِ. فَخَطَرَتْ فِي ذِهْنِهَا فِكْرَةُ الذَّهَابِ إِلَى حَيْزَبُونَ السَّاحِرَةِ. لَمَّا اسْتَقْبَلَتْهَا السَّاحِرَةُ عَرَضَتْ عَلَيْهَا حَاجَتَهَا قَائِلَةً : « وَدِدْتُ لَوْ كَانَ لَدَيَّ طِفْلٌ صَغِيرٌ، هَلاَّ دَلَلْتِنِي عَلَى كَيْفِيَّةِ الْحُصُولِ عَلَى وَاحِدٍ ؟ »

أَجَابَتِ السَّاحِرَةُ : « نَعَمْ، يُمْكِنُنِي ذَلِكَ. خُذِي حَبَّةَ الشَّعِيرِ هَذِهِ ! إِنَّهَا تَخْتَلِفُ عَنْ تِلْكَ الَّتِي تُزْرَعُ فِي حَقْلِ الْفَلاَّحِ، أَوْ تِلْكَ الَّتِي نُطْعِمُ بِهَا الدَّجَاجَ. ضَعِيهَا فِي وِعَاءٍ وَ سَتَرَيْنَ ! » فَشَكَرَتْهَا الْمَرْأَةُ وَ أَعْطَتْهَا بَعْضَ الْمَالِ ثُمَّ غَادَرَتِ الْمَكَانَ.

بَعْدَ عَوْدَتِهَا إِلَى الْـمَنْزِلِ، زَرَعَتْ حَبَّةَ الشَّعِيرِ. وَ إِذَا بِهَا تُصْبِحُ زَهْرَةً رَائِعَةَ الْـجَمَالِ تُشْبِهُ الْـخُزَامَى، غَيْرَ أَنَّ بَتَلَاتِهَا ظَلَّتْ مُغْلَقَةً وَ لَمْ تَتَفَتَّحْ. قَالَتِ الْـمَرْأَةُ: « يَالَهَا مِنْ زَهْرَةٍ أَخَّاذَةٍ! » وَ قَلْبُهَا يَتَدَفَّقُ بِالْـحَنَانِ.. حِينَهَا رَاحَتْ تُقَبِّلُ بَتَلَاتِ الزَّهْرَةِ الْـحَمْرَاءِ وَ الصَّفْرَاءِ الْـجَمِيلَةِ بِرِقَّةٍ.



أَثْنَاءَ تَقْبِيلِهَا، انْفَتَحَتِ الزَّهْرَةُ مُحْدِثَةً دَوِيًا شَدِيدًا.. كَانَتْ فِعْلاً زَهْرَةَ خُزَامَى، وَ فَجْأَةً طَلَعَتْ مِنْ وَسَطِهَا طِفْلَةٌ صَغِيرَةٌ جِدًّا لاَ يَتَجَاوَزُ طُولُهَا أُصْبُعَ الإِبْهَامِ. لَقَدْ كَانَتْ جَمِيلَةً حَقًّا، وَ هِيَ مُتَرَبِّعَةٌ عَلَى كُرْسِيٍّ أَخْضَرَ. فَأَسْعَدَتِ الْـمَرْأَةَ وَ سَمَّتْهَا « بِنْتَ الزَّهْرَةِ ».





فِي اللَّيْلِ، كَانَتْ بِنْتُ الزَّهْرَةِ تَنَامُ عَلَى سَرِيرٍ مَصْنُوعٍ مِنْ قِشْرَةِ جَوْزٍ مَصْقُولَةٍ، وَ كَانَ فِرَاشُهَا مِنْ بَتَلاَتِ الْبَنَفْسَجِ الزَّرْقَاءِ، وَ غِطَاؤُهَا مِنْ بَتَلاَتِ الْوَرْدِ.
أَمَّا فِي النَّهَارِ فَكَانَتْ تَلْعَبُ فَوْقَ مَائِدَةٍ صَغِيرَةٍ، عَلَيْهَا صَحْنٌ يُحِيطُ بِهِ تَاجٌ مِنَ الزُّهُورِ، غُمِرَتْ سِيقَانُهَا فِي الْمَاءِ.

فِي إِحْدَى اللَّيَالِي، بَيْنَمَا كَانَتْ نَائِمَةً عَلَى فِرَاشِهَا الرَّائِعِ، نَطَّتْ ضِفْدَعٌ قَبِيحَةُ الْمَلاَمِحِ مِنْ نَافِذَةٍ مَكْسُورَةِ الزُّجَاجِ. قَفَزَتْ عَلَى الْمَائِدَةِ حَيْثُ كَانَتْ تَنَامُ بِنْتُ الزَّهْرَةِ، تَحْتَ غِطَاءٍ مِنْ أَوْرَاقِ الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ. قَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « قَدْ تَلِيقُ لِابْنِي، سَآخُذُهَا زَوْجَةً لَهُ ! » اخْتَطَفَتْ بِنْتَ الزَّهْرَةِ وَ فَرَّتْ بِهَا مِنَ النَّافِذَةِ إِلَى الْبُسْتَانِ.



سَبَحَتِ الضِّفْدَعُ الْعَجُوزُ في الْيَنْبُوعِ الْمَلِيءِ بِزُهُورِ النَّيْلُوفَرِ فَوَضَعَتْ عَلَيْهَا قِشْرَةَ الْجَوْزِ وَبِنْتَ الزَّهْرَةِ حَتَّى لاَ تَهْرَبَ. وَفِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ اسْتَيْقَظَتِ الطِّفْلَةُ الْمِسْكِينَةُ، فَنَظَرَتْ مِنْ حَوْلِهَا، فَأَدْرَكَتْ أَنَّهَا لاَ تَسْتَطِيعُ الْعَوْدَةَ إِلَى الْيَابِسَةِ، فَبَدَأَتْ تَبْكِي بِمَرَارَةٍ شَدِيدَةٍ.

سَمِعَتِ الْأَسْمَاكُ الصَّغِيرَةُ مَا قَالَتْهُ الضِّفْدَعُ، فَأَخْرَجَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّطْحِ، فَرَأَتْ طِفْلَةً جَمِيلَةً تَبْكِي، فَحَزِنَتْ لِوُجُودِهَا فِي قَبْضَةِ هَذِهِ الشِّرِّيرَةِ. عَزَمَتِ الْأَسْمَاكُ عَلَى إِنْقَاذِهَا، فَتَجَمَّعَتْ تَحْتَ سَطْحِ الْمَاءِ وَعَضَّتْ سَاقَ النَّيْلُوفَرِ. فَانْسَابَتْ أَوْرَاقُ الزَّهْرَةِ مَعَ جَرَيَانِ الْمَاءِ، فَبَدَأَتْ بِنْتُ الزَّهْرَةِ تَبْتَعِدُ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى اخْتَفَتْ عَنِ الْأَنْظَارِ، وَلَمْ يَعُدْ بِمَقْدُورِ الضِّفْدَعِ اللَّحَاقُ بِهَا.



أَبْحَرَتْ بِنْتُ الزَّهْرَةِ وَ مَرَّتْ بِأَمْكِنَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ.. اِلْتَقَتْ بِالْعَصَافِيرِ وَ هِيَ تَنْظُرُ إِلَيْهَا وَ تُغَرِّدُ لَهَا مِنْ أَعْلَى الشُّجَيْرَاتِ.. اِبْتَعَدَتْ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ إِلَى أَنْ وَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي غَابَةٍ كَبِيرَةٍ، أَقَامَتْ فِيهَا لِوَحْدِهَا. وَ لَكِنَّهَا كَانَتْ مَسْرُورَةً لِنَجَاتِهَا مِنَ الضُّفْدَعَةِ.

صَنَعَتْ بِنْتُ الزَّهْرَةِ سَرِيرًا مِنَ الْأَعْشَابِ، وَ ثَبَّتَتْهُ تَحْتَ وَرَقَةِ حَمِيضٍ كَبِيرَةٍ. وَ كَانَتْ تَجْمَعُ طَلْعَ الْأَزْهَارِ وَ تَتَغَذَّى مِنْهُ لِتَتَقَوَّى، كَمَا كَانَتْ تَشْرَبُ مِنْ قَطَرَاتِ النَّدَى الَّذِي تَجِدُهُ عَلَى الْأَوْرَاقِ كُلَّ صَبَاحٍ. عَاشَتِ الطِّفْلَةُ الصَّغِيرَةُ هَكَذَا طَوِيلاً. مَرَّ فَصْلُ الصَّيْفِ فَالْخَرِيفِ.. ثُمَّ جَاءَ الشِّتَاءُ الْبَارِدُ الْقَاسِي.



لَقَدْ هَاجَرَتْ كُلُّ الْعَصَافِيرِ الَّتِي غَنَّتْ لَهَا، وَ تَسَاقَطَتْ أَوْرَاقُ الْأَشْجَارِ وَذَبُلَتِ الْأَزْهَارُ. بَدَأَ الْحُزْنُ يُحِيطُ بِالْمِسْكِينَةِ، فَهِيَ عَاجِزَةٌ وَ صَغِيرَةٌ جِدًّا فِي غَابَةٍ كَثِيفَةٍ، لاَ تَقْدِرُ عَلَى الرِّيَاحِ الْعَاصِفَةِ.. ذَاتَ يَوْمٍ سَقَطَتْ أَرْضًا قُرْبَ عَتَبَةِ جُحْرِ فَأْرَةِ الْحُقُولِ. فَاسْتَقْبَلَتْهَا الْفَأْرَةُ الْعَجُوزُ وَ قَدَّمَتْ لَهَا مَا يَكْفِيهَا مِنْ أَكْلٍ وَ شَرَابٍ طَوَالَ الشِّتَاءِ. مَضَى الرَّبِيعُ وَ الصَّيْفُ بِسَلاَمٍ عَلَى بِنْتِ الزَّهْرَةِ. وَ لَمَّا حَلَّ الْخَرِيفُ الْتَقَتْ سُنُونُوَةً جَرِيحَةً تُعَانِي الْبَرْدَ، فَقَالَتْ لَهَا بِعَطْفٍ : « الطَّقْسُ مُتَجَلِّدٌ وَ الثُّلُوجُ تَتَسَاقَطُ، اسْتَرِيحِي فِي سَرِيرِكِ الدَّافِئِ وَ سَأُعَالِجُكِ ! » كَانَتِ الْمِسْكِينَةُ تَزُورُهَا خِفْيَةً عَنْ فَأْرَةِ الْحُقُولِ.

مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، صَارَتْ بِنْتُ الزَّهْرَةِ صَدِيقَةً لِلسُّنُونُوَةِ وَ قَدْ أَحَبَّتْهَا كَثِيرًا. وَ لَكِنْ بِمُجَرَّدِ قُدُومِ فَصْلِ الرَّبِيعِ أَصْبَحَتْ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ تَرْمِي بِدِفْئِهَا عَلَى الْأَرْضِ ؛ فَعَزَمَتِ السُّنُونُوَةُ عَلَى السَّفَرِ فَطَلَبَتْ مِنْهَا أَنْ تُرَافِقَهَا وَ لَكِنَّهَا أَبَتْ، مَدِينَةٌ بِالْفَضْلِ لِفَأْرَةِ الْحُقُولِ الَّتِي اسْتَضَافَتْهَا فِي غَارِهَا أَثْنَاءَ مِحْنَتِهَا. وَدَّعَتِ السُّنُونُوَةُ بِنْتَ الْبُرْعُمَةِ وَ طَارَتْ عَالِيًا فِي السَّمَاءِ.



بَقِيَتْ بِنْتُ الزَّهْرَةِ تَعِيشُ فِي الْغَارِ، وَ لَكِنَّهَا أَصْبَحَتْ أَسِيرَةَ فَأْرَةِ الْحُقُولِ طِيلَةَ فَصْلِ الصَّيْفِ.. فَأَرَادَتْ تَزْوِيجَهَا بِجَارِهَا الْخُلْدِ. عِنْدَمَا سَمِعَتِ الْخَبَرَ، رَفَضَتِ الْبِنْتُ الْفِكْرَةَ وَ بَكَتْ، فَأَجَابَتْهَا الْفَأْرَةُ مُهَدِّدَةً: « تَاتَاتَا !، أَتَرْفُضِينَ ذَلِكَ ؟! جَهِّزِي نَفْسَكِ وَ لاَ تَعْصِي أَمْرِي، وَ إِلاَّ أَعْضُّكِ بِسِنَّيَّ الْبَيْضَاءِ هَذِهِ ! » وَ فِي يَوْمٍ آخَرَ تَمَكَّنَتْ بِنْتُ الزَّهْرَةِ مِنَ الْخُرُوجِ خِفْيَةً لِتَوْدِيعِ الشَّمْسِ.. فَالْتَقَتِ السُّنُونُوَةَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ مُحَلِّقَةً مِنْ هُنَاكَ. فَرِحَتْ لِرُؤْيَةِ صَدِيقَتِهَا وَ حَكَتْ لَهَا مَا تُعَانِيهِ بَاكِيَةً.

فَقَالَتْ لَهَا السُّنُونُوَةُ: « تَعَالَي وَ طِيرِي مَعِي يَا صَدِيقَتِي الْعَزِيزَةَ، أَنْتِ الَّتِي أَنْقَذْتِ حَيَاتِي، عِنْدَمَا كُنْتُ مُسْتَلْقِيَةً أَتَجَمَّدُ فِي قَبْوِ الْأَرْضِ الْمُظْلِمِ ! »

صَعِدَتْ بِنْتُ الزَّهْرَةِ فَوْرًا عَلَى ظَهْرِهَا.. فَطَارَتِ السُّنُونُوَةُ فَوْقَ الْغَابَةِ، ثُمَّ فَوْقَ الْبَحْرِ، وَ حَلَّقَتْ عَالِيًا فَوْقَ الْجِبَالِ الْمُغَطَّاةِ بِالثُّلُوجِ..

عِنْدَ وُصُولِهِمَا إِلَى الْبِلاَدِ الدَّافِئَةِ، أَنْزَلَتِ الْبِنْتَ عَلَى وَرَقَةٍ، فَتَعَجَّبَتِ الْفَتَاةُ.

لَقَدْ وَجَدَتْ رَجُلاً صَغِيرًا، أَبْيَضَ وَ شَفَّافًا كَأَنَّهُ مِنْ زُجَاجٍ !

لَهُ جَنَاحَانِ رَائِعَانِ، جَالِسًا وَسَطَ زَهْرَةٍ، كَانَ يَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا ذَهَبِيًّا.. يَا لَهَا مِنْ مُفَاجَأَةٍ.. إِنَّهُ مَلاَكُ الزَّهْرَةِ، وَ هُوَ مَلِكُ الْجَمِيعِ ! نَزَعَ تَاجَهُ الذَّهَبِيَّ وَ وَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهَا وَ طَلَبَ يَدَهَا لِلزَّوَاجِ لِتَكُونَ مَلِكَةَ كُلِّ الْأَزْهَارِ.. إِنَّهُ زَوْجٌ مُخْتَلِفٌ تَمَامًا عَنِ ابْنِ الضِّفْدَعِ وَ الْخُلْدِ الْأَسْوَدِ ». قَالَ : « أَنْتِ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ.. سَأُسَمِّيكِ : مَايَا ! »

اِطْمَأَنَّتِ السُّنُونُوَةُ عَلَيْهَا قَائِلَةً : « وَدَاعًا، وَدَاعًا ! » ثُمَّ طَارَتْ بَعِيدًا.. وَ عَاشَا سَعِيدَيْنِ فِي مَمْلَكَةِ الْأَزْهَارِ.

